النظام الجزائري يتآمر... على الجزائر

نظام مريض

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

يهرب النظام الجزائري من أزمته إلى المكان الخطأ. يهرب في اتجاه قطيعة مع المغرب. أن تردّ الجزائر على اليد المغربيّة الممدودة بـ"إعادة النظر" في علاقاتها مع الرباط بعد اتهامها، ظلما، بالتورط في الحرائق الضخمة التي اجتاحت شمال البلاد، أمر مثير للاستغراب فعلا. لكنّه أمر يكشف في الوقت ذاته عمق الأزمة التي يعيش النظام الجزائري في ظلّها والتي تجعله في حال من التخبط المزمن. في أساس أزمة النظام، الذي أسّسه هواري بومدين في العام 1965، تحوّل مجموعة من الضبّاط إلى الحكام الفعليين لبلد غنيّ بدّدت ثرواته على كلّ شيء باستثناء التنمية.

الأزمة في الجزائر داخليّة. إنّها أزمة نظام مريض يظنّ أن التصعيد مع المغرب هو الحلّ في حين أن الحلّ في مكان آخر. الحل في اعتماد التواضع والواقعية وامتلاك الجرأة على القيام بعملية نقد للذات والتخلّص في الوقت ذاته من عقدة المغرب

ما ذنب المملكة المغربيّة إذا كانت الجزائر لا تمتلك، مثل المغرب، طائرات مخصّصة لمكافحة الحرائق؟ الأكيد أن ردّ النظام الجزائري على التقصير لا يكون بالهرب منه... إلى المغرب. ليس مثل هذا الهرب سوى تعبير عن مدى عجز النظام وعقمه من جهة وعمق القطيعة القائمة بينه وبين الشعب الجزائري من جهة أخرى. قطيعة النظام الجزائري هي مع الشعب الجزائري وليست مع المغرب بأيّ شكل. كل ما في الأمر أن النظام يخشى أن يزور الجزائريون المغرب لاكتشاف كيف استطاع بلد لا يمتلك ثروة نفطية بناء نفسه.

يحاول النظام الجزائري افتعال أزمة كبرى مع المغرب لعلّ ذلك يعفيه من مصالحة حقيقية مع الشعب الجزائري. لن تحلّ له أي أزمة مفتعلة مع المغرب أيّ مشكلة. لا لشيء سوى لأنّ الشعب الجزائري ليس بالسذاجة التي يظنّها. لو كان الشعب الجزائري ساذجا، لما أجبر عبدالعزيز بوتفليقة على الاستقالة بعدما حاول الحصول، عبر المحيطين به، على ولاية خامسة.

ليس في استطاعة هذا النظام اختلاق خطر خارجي غير موجود أصلا. الموجود فعلا هو المرض الذي يعاني منه النظام الذي يرفض الاعتراف بأنّه مفلس سياسيا واقتصاديا وفكريًا وأنّ عليه الاستفادة من المغرب ومن التعاون معه بدل الاستمرار في ممارسة لعبة لا يعرف غيرها. اسم هذه اللعبة تصدير الأزمة الداخلية الجزائرية إلى خارج الحدود.

سبق للمغرب، بتوجيهات من العاهل المغربي الملك محمّد السادس أن عرض مساهمة طائراته في إطفاء الحرائق في الجزائر. تجاهلت الجزائر العرض مثلما تجاهلت تأكيدات العاهل المغربي حرصه إعادة فتح الحدود المغلقة بين البلدين "التوأمين". الحدود مغلقة منذ العام 1994.

بدل الاستعانة بالمغرب الحريص دائما على مصلحة الشعب الجزائري والجزائر نفسها، لجأ النظام إلي استئجار طائرات تستخدم لإطفاء الحرائق من دول أوروبية. زاد على ذلك كلّه كيل كلّ أنواع الاتهامات إلى المغرب. شملت هذه الاتهامات العلاقات التي أقامها المغرب مع إسرائيل في سياق سياسة متوازنة تخدم مصلحة الشعب الفلسطيني وقضيتّه.

قد يكون أغاظ الجزائر أن المغرب استقبل إسماعيل هنيّة رئيس المكتب السياسي لـ"حماس" ثم يائير لابيد وزير الخارجية الإسرائيلي. كلّ ما يفعله المغرب، إنّما يفعله من فوق الطاولة. لم يتاجر المغرب بالشعب الفلسطيني وقضيّته يوما. لم يستضف جماعة "أبونضال" أو "جماعة وديع حدّاد" التي اخترعت عمليات خطف الطائرات ومنشقين عن "فتح" من أجل المتاجرة بهم مع إسرائيل وغير إسرائيل، خصوصا مع الأجهزة الغربيّة أو تلك التابعة لبلدان أوروبا الشرقيّة في مرحلة ما قبل انهيار جدار برلين. لم يكن غريبا إحباط إسرائيل عمليّات عدّة كان مفترضا أن يشنها فلسطينيون انطلاقا من الجزائر. آخرها كانت في العام 1985 عندما فجّر كوماندوس إسرائيلي سفينة أعدت للانطلاق من ميناء عنابة الجزائري في اتجاه الشواطئ الإسرائيلية. ما هذه القدرة الإسرائيلية على اكتشاف وجود مثل هذه السفينة في المياه الجزائرية قبالة عنّابة؟

مضحك البيان الصادر عن اجتماع استثنائي للمجلس الأعلى للأمن برئاسة الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون. خصص الاجتماع لتقييم الوضع العام للبلاد عقب الحرائق الضخمة التي أودت بحياة 90 شخصا على الأقل في شمال الجزائر، أي في مناطق قبائلية تعاني من ممارسات النظام منذ سنوات. جاء في البيان أن "الأفعال العدائية المتكررة من طرف المغرب ضد الجزائر (تطلبت) إعادة النظر في العلاقات بين البلدين وتكثيف المراقبة الأمنية على الحدود الغربية".

ما هو مضحك أكثر أن تتهّم الجزائر المغرب بتشجيع جماعة انفصالية في الجزائر. ليست هذه التهمة سوى محاولة مكشوفة لتبرير الحرب التي تشنّها الجزائر بطريقة غير مباشرة على المغرب منذ استعادته أقاليمه الصحراويّة بطريقة سلميّة. لم يدر النظام الجزائري يوما أن أي تشجيع لأي انفصال في دولة مجاورة له سيرتدّ عليه عاجلا أم آجلا...

الأزمة في الجزائر داخليّة. إنّها أزمة نظام مريض يظنّ أن التصعيد مع المغرب هو الحلّ في حين أن الحلّ في مكان آخر. الحل في اعتماد التواضع والواقعية وامتلاك الجرأة على القيام بعملية نقد للذات والتخلّص في الوقت ذاته من عقدة المغرب.

نقطة البداية في الاعتراف بأنّ الخيار الوحيد أمام النظام هو في اكتساب شرعيّة شعبيّة حقيقية. لا شرعيّة للنظام عندما يقاطع الشعب الاستفتاء على الدستور وقبل ذلك الانتخابات الرئاسيّة وبعد ذلك الانتخابات النيابيّة. لا شرعيّة لنظام يقرّر العسكريون من هو رئيس الجمهوريّة وما هي مهمّة الرئيس الذي عليه التحرّك ضمن إطار معيّن مرسوم له مسبقا. لا شرعيّة لنظام لا علاقة له بما يدور على الأرض الجزائرية، نظام يعتقد أن في استطاعته خلق تماسك وطني بمجرّد التلويح بخطر مغربي لا وجود له.

عاش النظام الجزائري منذ ولادته على الأوهام. وهم الثورة الزراعيّة ووهم الثورة الصناعيّة ووهم التعريب ووهم الانتصار لحق تقرير المصير للشعوب الأخرى. لكنّه نسي حق تقرير المصير للشعب الجزائري. متى يحصل الشعب الجزائري على حقّ تقرير المصير؟

عمليا عاش النظام على وهم أن لدى الجزائر نموذجا تصدّره إلى خارج حدودها. مع الوقت، ومع تبديد الثروة النفطية والغازيّة، تبيّن أن ليس لدى النظام الجزائري ما يصدّره غير أزمته في لعبة تجاوزها الزمن. عندما يتحدّث رئيس الأركان الجزائري السعيد شنقريحة عن أن الحرائق في الجزائر "جزء من مؤامرة شاملة" من دون أن يقدّم أي دليل على ما يقوله، أقلّ ما يفترض فيه الاعتراف بأنّه إذا كانت من مؤامرة على الجزائر، فإنّ النظام نفسه وراء هذه المؤامرة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

سؤال عراقي: لماذا قمة دول الجوار؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

في أجواء التحضيرات المضنية لمؤتمر قادة دول الجوار الذي سيعقد في بغداد في نهاية الشهر الحالي يسأل المواطن العراقي الباحث عن أمنه ورزق عياله، هل في نية الحكومة العراقية أن تستغل هذا المؤتمر فتُطالب ضيوفها الذين سيحضرونه، باسم الواجب الديني والإنساني، وبحق الجيرة، وتلويحاً بمستقبل المصالح المتبادلة، بأن يوقفوا تدخّلاتهم في شؤونه الداخلية، ويمتنعوا عن حماية أحزاب وتنظيمات عراقية عميلة لهم خارجة على القانون، وخصوصا كبار الفاسدين من قادتها وأفرادها، وغير ذلك من ملفات ساخنة.

أم في نية الحكومة أن تجعل هذا المؤتمر شبيهاً بما سبقه من المؤتمرات التي تحولت إلى جلسات مجاملة ومسامرة ومأدب غداء وعشاء فاخرة تُزيّنها السيوف المذهبة وأغاني الجالغي البغدادي وفتيات الرقص الشعبي؟ خصوصا وأن للعراقيين مع رئيسها مصطفى الكاظمي تجارب عديدة سابقة كان في جميعها فاشلا، ولا بد أن يكون فاشلا أيضا في مؤتمره الجديد.

والسبب واضح ومعروف، وهو أن قادة الدول العربية والأجنبية الذين التقاهم سابقا والذين سيحضرون مؤتمره الجديد، مدركون لحقيقة كونه موظفا مسيَّرا وغير مخيَّر، وبالتالي فإنهم حين يحاورونه إنما يحاورون من ورائه النظامَ الذي يحركه من وراء الحدود.

يقول عضو لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان العراقي عمر الفايز في حديث للصحافيين إن حكومة الكاظمي "ستناقش خلال اجتماع القمة ملف الاعتداء التركي على الأراضي العراقية، والعمل على إنهاء التدخل العسكري، دون مناقشة النفوذ الإيراني في العراق".

إذن فإذا كان هذا المؤتمر لن يبحث التدخلات الخارجية وخاصة منها الإيرانية التي تسبّبت في كل الخراب الحاصل في العراق، في جميع المجالات والميادين، ولن يطالب بحقوق العراق المائية المغتصبة، ولن يستغل الفرصة ليبلغها بقوة وحزم بتصميم حكومته على سحب سلاح الفصائل والميليشيات المنفلتة، واستعادة هيبة الدولة وسلطة القانون، وضبط المنافذ الحدودية، ومنع تهريب النفط والسلاح والمخدرات، فإن عقده عبث ومضيعة جهد ومال.

واستنادا إلى بيانات وزارة الخارجية العراقية فإن أبرز المدعوين لحضور هذه القمة هما الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي، وهما الاثنان الرئيسان الأكثر عبثاً بأمن الوطن وسيادته وأمنه واستقراره، وهي فرصة ذهبية للمواجهة والمكاشفة لا تعوض.

ولكن، بأي وجه وبأي عين سيطلب رئيس حكومة العراق من ضيفه التركي الجالس عن يساره أن يسحب قواته من أراضي الدولة العراقية، ولا يطلب الشيء نفسه من الضيف الآخر الإيراني الجالس إلى يمينه؟

إن تركيا لا تنفي احتلالَها أجزاءً من شمال العراق بدعوى محاربة "متمردين" من مواطنيها الكرد المتّخذين من جبال كردستان العراق ملاذا آمنا يشنون منه هجمات مسلحة على جنودها وضباطها داخل حدودها، نفسها.

ولكن ماذا عن الدولة الجارة الأخرى التي لا تحتل مدينة عراقية أو مدينتين أو ثلاثا فقط، أسوة بتركيا، بل هي تحتل العراق كله، بحكومته وبرلمانه وجيوشه وقوات أمنه ونفطه وهوائه ومائه وغذائه ودوائه وعلاقاته الخارجية بحجة الدفاع عن أمنها القومي، رغم عدم وجود "متمردين" إيرانيين يهددون أمنها القومي متخفّين في العراق؟

إذا كان هذا المؤتمر لن يبحث التدخلات الخارجية، وخاصة منها الإيرانية التي تسبّبت في كل الخراب الحاصل في العراق، فإن عقده عبث ومضيعة جهد ومال

ودون خشية ولا حياء أدلى السفير الإيراني إيريج مسجدي بتصريح صحافي ثمن فيه دور الكاظمي في عقد المؤتمر، ووصفه بأنه "خدمةٌ للمشروع المقاوِم".

والمعروف أن صيغة "المشروع المقاوم" يستخدمها الإيرانيون وذيولهم للإشارة إلى مشروع إمامهم الخميني القائم على فكرة تصدير الثورة إلى دول الجوار.

تقول صحيفة "طهران تايمز" الإيرانية في تعليقها على المؤتمر، إنه قد ينجح في عقد اجتماع عفوي بين وفدَيْ طهران والرياض، لكن من غير المرجح أن يحقق الاجتماع نجاحا كبيرا، لأن "الخلافات الإيرانية – السعودية عميقة للغاية لدرجة أن من غير المرجح أن يحلها لقاء".

إذن فالجهود والأموال العراقية التي أنفقت على مؤتمرات وسفرات وجولات سابقة، والتي ستُنفق على هذا المؤتمر، هي فقط لخدمة النظام الإيراني وأهدافه التوسعية، وبأوامره وتوجيهاته، وليس للعراق فيها نصيب.

ومن تجارب العراقيين في عشرات السنين المرّة العجاف الماضية، ثبت بالدليل القاطع أن مصالح الشعب العراقي آخرُ ما تفكر فيه دولة الولي الفقيه وخَدمُها العراقيون.

ثم هل توجد في التاريخ البشري الطويل دولةٌ تغزو دولةً أخرى لكي تخدم شعبها، وتعمّرَها، وتُحرّمَ سرقة أموالها، وتحمي حدودها، وتعزز أمنها وسيادتها؟

والدليل أن الإيرانيين وخدمَهم العراقيين الذين كانوا حلفاء ومساعدين وشركاء للأميركيين في احتلال العراق، تعاونوا معهم على تهشيم الدولة العراقية وتمزيقها، وشجّعوهم على إلغاء جيشها ووزارات داخليتها وإعلامها وأجهزة أمنها ومخابراتها، وأقنعوهم بطرد عشرات الآلاف من موظفيها دون تعويض ولا مكافآت، وترك حدودها مباحة لجيوش المخربين والقتلة الانتحاريين واللصوص المتدفقين من دول الجوار.

وكل شيء ثابت وموثق ولا ينسى بتقادم السنين.

يقول الرئيس الأميركي جو بايدن في معرض تعليقه على سرعة انهيار النظام الذي أقامته الولايات المتحدة في أفغانستان إن "المهمة في أفغانستان لم تكن يوماً بناءَ دولة". وهو صادق في هذه إلى أبعد الحدود.

وتبقى الكلمة الأخيرة للشعب العراقي الذي لا بد أن يتكلم الآن، وقبل فوات الأوان.

مصالح الشعب العراقي آخر ما تفكر فيه إيران